وقالوا لا تخف لحوقهم بنا ولا تحزن ای لا تغتم بلحوق عذابهم بك وباهلك انا
منجوك واهلك من عذابهم الا امرأتك فانك وان اخرجتها من القرية مع اهلك كانت في الحكم
من الغابرين ای الباقين فيها وبعد ما انسوه من عذابهم فصلوا له عذابهم فقالوا انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا ای عذابا لا يوجد جنسه في الارض فهو من السماء بما كانوا يفسقون
ای يخرجون عن مقتضى حكمة خالقها ولكونه لا نظير له لقد تركنا منها ای من حجارتها اية بينة ای
اسامي من اهلكت بها مكتوبة عليها ليكون نافعا لقوم يعقلون فيقيسون احوالهم على احوال
اولئك فينزجروا عن الفواحش التي يردها العقول وجعلنا رجزهم نظيرا لمؤثرا هو رجفة اهل
مدين على فسقهم الذي دون فسق قوم لوط فانا ارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا
قوم اعبدوا الله بامتثال اوامره والانتهاء عن نواهيه وارجوا ای اعقدوا اعتقاد رجا
اليوم الاخر ليكون داعيا الى العبادة لرجاء ثوابه وخوف عقابه وانما تقوى هذا الرجاء بترك
الافساد في الامر الدنيوي لا تعثوا ای لا تفسدوا امور الناس المجتمعين في الارض مفسدين لامر التمدن
وهو المعاونة بين بني النوع لاستكمال امر المعاش والمعاد فكذبوه ليفسقوا عن اوامره ونواهيه
فاخذتهم الرجفة ای الصيحة التي هي منشأ الزلزلة الشديدة من جبرئيل عليه السلام في مقابلة
رجز قوم لوط فاصبحوا في دارهم التي هي بها معاشهم جاثمين ای ميتين خارجين عن اعتدالهم كما
خرجوا عن اوامره ونواهيه واخرج عنهم ارواحهم كما اخرجوا روح الانسانية عنهم ولو قيل انما
اثرت الرجفة فيهم لعدم تحصنهم ببناء متين يقال فقد اهلكنا ايضا عادا وثمودا وقد تبين لكم
تحصنهم من مساكنهم ولكن لم يتحصنوا في الامور الاخروية باحكام اعمالهم اذ زين لهم الشيطان
اعمالهم فخيل لهم انهم متحصنون بها في الامور الاخروية فصدهم عن السبيل الموصلة اليها ولكن لم
يصر هذا الصد مانعا من الاستبصار بل وكانوا مع هذا الصد مستبصرين يمكنهم طلب البصيرة
اذ لم يصيروا مجانين ولو قيل انما اخذوا لضعفهم الذي تحصنوا من اجله بمساكنهم يقال وقد اخذنا
قارون مع كمال قوته بالاموال وفرعون مع كمال قوته بالعسكر وهامان مع كمال قوته في
التدبير الدنيوي ولم يكن مواخذتهم لعدم تلك القوة بل لقد جاءهم موسى المتقوي بالبينات
فقابلوا قوته بقوة مالهم وعسكرهم وتدبيرهم فاستكبروا مع كونهم في الارض على الايات
البينة حتى ارادوا السبق عليها ولكن ما كانوا سابقين بل ادركناهم فكلا اخذنا بعذاب يليق
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ای ريحا عاصفا فيه حصباء كعاد لغلبة الاهوية الفاسدة
عليهم مع تجبرهم في البطش ومنهم من اخذته الصيحة كثمود في مقابلة صياح الناقة عند
عقرها ومنهم من خسفنا به الارض كقارون لانه لما منع حق الاموال كان كالدافن لها ومنهم

من اغرقنا

من اغرقنا كفرعون وهامان لغرقهما في الكفر بسلب الربوبية عن الله واثباتها لفرعون
وانما اخذنا كلا بذنبه لانه ما كان الله ليظلمهم بالمؤاخذة بما لا يناسب ذنوبهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بتعذيبها بالذنوب التي تستلزم ذلك العذاب ولو قيل انما اخذ
الاولون لاعتمادهم على قوة مساكنهم او اموالهم او عسكرهم او تدبيرهم ونحن نعتمد
على قوة الهتنا يقال مثل الذين اتخذوا من دون الله المحيط بالكل اولياء ولا نسبة للدون
اليه وان بلغ ما بلغ الا نسبة لا شيء الى ما لا يتناهى فظنوا ان قوة اولياءهم محيط بالكل
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا تعتمد على قوتها ونظمها محيطة بهم دافعة عنهم الحر والبرد وان
اوهن البيوت ای اضعفها لبيت العنكبوت لا تحتمل مس ادنى الحيوان واضعف الرياح
ولا تدفع شيئا من الحر والبرد فهذا مثلهم لو كانوا يعلمون حال اولياءهم وكيف يكون
اولياؤهم محيطين بالله مع ان الله محيط بهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه فيحيط بهم بكونهم
دونه وكيف لا يعلمه وهو من شيء وكل شيء معلوم له وكيف يبلغون قوته وهو العزيز ای الغالب
بقوته على الكل فوق غلبة احدنا على بيت العنكبوت وله من غاية التدبير ما ليس لغيره لانه الحكيم و
ليست هذه الامثال لبيان نسبة قوتهم الى قوة الله تعالى بل تلك الامثال نضربها للناس
ای لتفهيم من نسي الامور المعقولة فنذكرهم اياها بتشبيهها بالمحسوسة ومع هذه المبالغة في
التفهيم ما يعقلها ای لا يفهمها الا العالمون بمناسبة المحسوس بالمعقول وكيف يكون القوة
اولياءهم نسبة الى قوة الله مع انه خلق الله بقوته السموات والارض فالقوة التي فيهما
صورة قوته الازلية لانه خلقها بالحق ای بظهوره ای باشراق نوره بوجوده وصفاته فيهما
ليستدل بما فيهما عليه ان في ذلك الظهور لاية تدل على الظاهر وصفاته معبودة للمؤمنين
بانهما من خلقه لا للغافلين بقدمهما والايات وان كثرت في السموات والارض فلا يعرف
بكمالها الا بالبيان الالهي ولا يفهمه الا العلماء ولا يتم لهم فهمه الا بتفهيم اكمل الرسل ومع ذلك
يحتاجون الى مزيد التزكية لذلك قيل اتل يا اكمل الرسل ما اوحي اليك بحسب كمالك من الكتاب الجامع
لايات السموات والارض والامثال والاعتقادات والاحكام واقم الصلوة لتزكية النفس
المفيدة للمكاشفة عنها ان الصلوة تنهى عن الفحشاء ای القبائح الحاجبة عن الحقائق والمنكر الحاجب
عن الله واسرار كتابه لانها مقام مناجاة الله الجاذبة اليه المغلبة محبته المانعة عن عصيانه
عليه ولذكر الله فيها اكبر تاثيرا في التزكية والنهي لانه يذكر الصفات اللطيفة فيوجب الحياء
من العصيان او القهرية فيوجب الخوف عنها ولو تخلف ذلك فيصنعكم الذي تسيئون به
ادب الحضرة اذ الله يعلم ما تصنعون ولو انكر اهل الكتاب كون كتابكم وحيا او كونه جامعا

الجزء الحادي والعشرون

Copyright © King Saud University